

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝
وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَلَکِھِینَ ۝ کَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِینَ ۝ فَمَا
بَكَتْ عَلَیْھِمْ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِینَ ۝﴾ [الدخان: 25 - 29]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

مَنْ رَكَبَ مَوْجَ
الطُّغْيَانِ،
وَعَلَا عَلَى الْمَلِكِ
الدِّيَّانِ؛ فَعَاقِبَتُهُ
خِزْيٌ وَجَزَاؤُهُ
خُسْرَانٌ

لَمَّا أُسْرَى مُوسَى بِالْمُؤْمِنِينَ؛ طَاعَةً لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ وَفَتَحَ الْمَوْلَى لَهُمُ الْبَحْرَ بِبَاهِرِ قُدْرَتِهِ، وَأَمْسَكَ مَاءَهُ كَالْجُدْرَانِ بِقَاهِرِ عَظَمَتِهِ، فَعَبَّرُوهُ تَارِكِينَ إِيَّاهُ بَعْدَ طُلُوعِهِمْ مِنْهُ عَلَى حَالَتِهِ؛ تَبِعَهُمْ عُبَادُ الشَّيْطَانِ بِمَا فَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَقَاوَتِهِ؛ فَأَغْرَقَهُمْ سَبْحَانَهُ جَمِيعًا بَعِزَّتِهِ؛ وَأَخْبَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ قَدْ أَوْرَثَ بِسَاتِنَتِهِمُ الْبَاهِرَةَ، وَقَصُورَهُمُ الْفَاخِرَةَ، وَجَمِيعَ أَرْضِهِمُ الْعَامِرَةَ الزَّاخِرَةَ لِأَقْوَامٍ آخِرِينَ بِمَا لَهُ مِنْ تَمَامِ السُّطُوتِ وَالْمَقْدَرَةِ، وَلَمَّا كَانَ الْإِهْلَاكُ يُوجِبُ أَسْفًا وَحَسْرَةً عَلَى الْمَهْلَكِينَ؛ أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّهُمْ غَيْرُ مُتَحَسِّرٍ عَلَيْهِمْ لَا فِي الْأَوَّلِينَ وَلَا فِي الْآخِرِينَ، وَمَا كَانُوا عَنِ الْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُؤَخَّرِينَ⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَعُيُونٍ﴾: أَصْلُ (عَيْن) يَدُلُّ عَلَى عُضْوٍ بِهِ يُبْصَرُ وَيُنْظَرُ⁽²⁾، العين: الجارحة التي هي حاسة البصر والرؤية، وهي مؤنثة، والجمع: أعين وعيون، ويقال لذي العين، وللمُرَاعِي لِلشَّيْءِ: عَيْنٌ؛ لِأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيُرْعَاهُ بَعِينُهُ، وَفُلَانٌ بَعِينِي: أَي: أَحْفَظُهُ وَأَرَاغِيهِ⁽³⁾، والعين: أَنْ تَصِيبَ الْإِنْسَانَ بَعِينٌ، وَعَانَ الرَّجُلُ فَلَانًا يَعِينُهُ عَيْنًا إِذَا أَصَابَهُ بِالْعَيْنِ، فَهُوَ عَائِنٌ، وَالْمَصَابُ بِالْعَيْنِ مَعِينٌ⁽⁴⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 27/ 18 - 29، والراعي، تفسير القرآن: 25/ 128.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (عين).

(3) الراغب، المفردات: (عين).

(4) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (عين).

ويقال لَمَنْعَ الماء الذي يخرج منه الماء، وينبع مِنَ الأرض: عَيْنٌ تشبیهًا بالعين لما فيها مِنَ الماء، وجمعه: عُيُونٌ وَأَعْيُنٌ، وَمِنْ عَيْنِ الماءِ اشْتَقُّ: ماءٌ مَعِينٌ؛ أي: ظاهر للعيون⁽¹⁾، وَمِنْ ذلك قولُ الله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾؛ أي: الخلجان الخارجة مِنَ النَّيلِ، فشبَّهها بالعيون⁽²⁾، وغلَبَ الأعْيُنُ في الجارحة، والعيون في النَّبْعِ.

(2) ﴿وَزُرُوعٍ﴾: أصلُ (زرع) يدلُّ على تنمية الشَّيءِ⁽³⁾، يقال: زَرَعَ الحَبَّ يَزْرَعُهُ زَرْعًا وَزِرَاعَةً: بَذَرَهُ، وَالزَّرْعُ: طَرَحُ البَذْرِ في الأرض، وَالزَّرْعُ أَيضًا: الإنباتُ، وحقيقةُ هذا تكون بالأمور الإلهيَّة دون البشريَّة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾^(٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ^(٦٤) [الواقعة: 63 - 64]، فنسبَ الحرثَ إليهم، ونفى الزَّرْعَ عنهم، ونسبَه إلى نفسه ﷺ، والزَّرْعُ في الأصل مصدرٌ، وأُطْلِقَ أيضًا على المزروع، وهو واحد الزُّروع، وقد غلب على البُرِّ والشَّعير، وموضِعُهُ مَزْرَعَةٌ وَمَزْدَرَعٌ، ويقال: زرع الله ولدك، تشبیهًا بذلك؛ أي: أنبته الله وجَبَرَهُ⁽⁴⁾.

(3) ﴿وَمَقَامٍ﴾: أصلُ (قَوْمٌ) يدور حول معنى الانتصابِ أو العزم على الشَّيءِ⁽⁵⁾، فالقيامُ: نقيضُ الجلوس، قام يقوم قيامًا، فهو قائمٌ، وجمعه قيامٌ، وأقام بالمكان إقامةً ومُقامًا: لَبِثَ، وأقام الشَّيءَ: أدامه، منه قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: 3]⁽⁶⁾، وكلُّ مَنْ ثَبَتَ على شيءٍ وتمسَّكَ به فهو قائمٌ عليه، ويُقال لِمَنْ لم يُطَلِّقْ فعلَ شيءٍ، ولم يقدر عليه: لم يَقُمْ به، وقِوَامُ الأمرِ: نِظامُهُ وعِمادُهُ، وقِوَامُ كُلِّ شيءٍ ما يقوم به الشَّيءُ، أي: يَثْبُتُ، كالعماد والسَّنَدِ: لما يُعَمَدُ وَيُسْنَدُ به⁽⁷⁾، ومنه قِوَامُ الحقِّ، وقِوَامُ الدِّينِ.

وقام فلانٌ مقامَ فلانٍ: إذا نابَ عنه، والمقامُ يكون مصدرًا، واسمَ مكانِ القيامِ، وزَمَانِهِ⁽⁸⁾، وقوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾؛ أي: مجلسٌ شريف، ومنازلٌ حسنة⁽⁹⁾.

(1) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عين).

(2) ابن عطية، البحر الوجيه: 5/72.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زرع).

(4) الخليل، العين، والراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (زرع).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).

(6) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قوم).

(7) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات: (قوم).

(8) الجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (قوم).

(9) البغوي، معالم التنزيل: 7/231، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/660، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/101، وأبو السعود، إرشاد

العقل السليم: 8/62.

(4) ﴿وَنَعْمَةً﴾: أصلُ (نعم) يدلُّ على ترفُّهٍ وطيبِ عيشٍ وصلاح⁽¹⁾، نَعِمَ يَنْعَمُ نَعْمَةً، فهو نعيمٌ بينُ المنعم⁽²⁾، والنَّعمة: الحالةُ الحسنة، مِنْ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ يُنْعَمُ إِنْعَامًا وَنِعْمَةً، والنَّعمة: التَّنْعُمُ، وحُسْنُ العيشِ وغضارته، والنَّعمةُ للجنس، تقال للقليل والكثير، وجمع النِّعمة: النِّعَمُ والأَنْعَمُ، والإنعام: إيصالُ الإحسانِ إلى الغير، ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين، والنَّعماء بإزاء الضَّراء، والنَّعيم: النِّعمة الكثيرة، والتَّنْعُم: التَّرفُّه، وتنعم: تناول ما فيه النِّعمة وطيبُ العيش، يقال: نَعَّمُهُ تَنْعِيمًا، فتَنعم: جعله في نعمة؛ أي: لين عيشٍ وخصب⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكِيهِينَ﴾؛ أي: متعة الحياة ولذاذتها، ولين العيش وغضارته⁽⁴⁾.

(5) ﴿فَكِيهِينَ﴾: أصلُ (فكه) يدلُّ على طيبٍ واستطابة⁽⁵⁾، والفاكهة: هي الثَّمار كُلُّها، وأجناسها: الفواكه، والفُكاهة: حديث ذوي الأنس، وهو المزاح، يقال: فَكَّهْتُ الْقَوْمَ تَفْكِيهَا بِالْفَاكِهَةِ، وفَاكَّهُتُهُمْ مُفَاكِهَةً بِمَلَحِ الْكَلَامِ والمزاح⁽⁶⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَلَامًا فَظَلَّمْتُمْ تَفَكُّهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: 65]؛ أي: تتعاطون الفُكاهة، وقيل: تتناولون الفاكهة، وقيل: تتعجبون وتندمون، وتفكُّه من كذا: تعجَّب وتندَّم، والفَكه: الأشرُّ البَطِر، وقوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكِيهِينَ﴾، قُرئت: (فَكِيهِينَ)، بمعنى: أَشْرِينَ بَطِرِينَ، وعلى قراءة: ﴿فَكِيهِينَ﴾ فهي بمعنى: ناعمين معجَّبين بما آتاهم الله، وتفكَّهتُ بالشَّيء: تمتَّعتُ به⁽⁷⁾.

(6) ﴿بَكَّتْ﴾: أصلُ (بكى) يدلُّ على خروج المائع من جوف الشَّيء قليلاً قليلاً بنحو من الاعتصار⁽⁸⁾، بكى يبكي بُكًى وبكاءً وهو باكٍ، فالبكاءُ: سيلانُ الدَّمع والصُّراخُ عن حزنٍ مُصابه⁽⁹⁾، فالبكاء بالمد: إذا أردتِ الصَّوت الذي يكون مع البكاء، والبُكى بالقصر

(1) ابن فارس، القاييس: (نعم).

(2) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة: (نعم).

(3) الراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب: (نعم).

(4) البغوي، معالم التنزيل: 231/7، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5/73.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فكه).

(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (فكه).

(7) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (فكه).

(8) محمد جبل، للعجم الاشتقاقى المؤصل: (بكى).

(9) الراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ: (بكى).

يقال إذا أردت الدُموعَ وخروجها، وكان الحزن أغلب، وجمع الباكي: باكون وبُكي، وبكيتُهُ وبكيتُ عليه بمعنى واحد: إذا بكيت عليه، وأبكيتُهُ إذا صنعت ما يحمله على البكاء⁽¹⁾.

(7) ﴿مُنْظَرِينَ﴾: أصلُ (نظر) يدلُّ على تأمل الشيء ومعاينته، نَظَرَ يَنْظُرُ نَظْرًا، والنَّظَرُ: حُسُ العَيْنِ⁽²⁾، وهو تَقْلِيْبُ البَصَرِ أو تأمُّلُ العَيْنِ والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التَّأْمُلُ والفحص، وقد يُراد به المعرفةُ الحاصلة بعد الفحص، وهو الرُّوْيَةُ، يقال: نَظَرْتُ فلم تَنْظُرْ؛ أي: لم تتأمَّل ولم تتروَّ⁽³⁾، واستعمالُ النَّظَرِ فِي البَصَرِ أَكْثَرُ عند العامة، وفي البصيرة أَكْثَرُ عند الخاصة، ونظرتُ إلى كذا: مددت طَرَفَكَ إليه، رأيته أو لم تره، ونظرتُ في كذا: إذا رأيته وتدبَّرتُه، والنَّظَرُ: الانتظار، يقال: نظرتُه وانتظرتُه وأنظرتُه؛ أي: أَخَرْتُهُ⁽⁴⁾، ومعنى: ﴿مُنْظَرِينَ﴾: أي: مؤخَّرين وممهِّلين⁽⁵⁾.

❖ الْمَغْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ

يُبَيِّنُ المولى ﷺ في هذه الآيات سوءَ مآلِ فرعونَ وقومه بعد إهلاكه إِيَّاهم بِالْعَرَقِ والتَّدميرِ مستعملاً ﴿كَمْ﴾ الخبرية لإفادة التَّكْثِيرِ والتَّهْوِيلِ لما ترك هؤلاء المشركون بعد العَرَقِ مِنْ بَسَاتينَ كثيرةِ الأشجارِ ناضرةٍ، وأنهارٍ مِنَ المَاءِ جاريةٍ، وزروعٍ نَضِرَةٍ متنوِّعةٍ، ومجالسَ حَسَنَةٍ مزخرفةٍ، وعيشةٍ مُتَرَفَةٍ كانوا فيها مُتَعَمِّينَ.

كذلك يفعل اللهُ بِمَنْ كَذَّبَ رُسُلَهُ وخالف أمره واتَّبَعَ هواه، وكذلك يَحْوُلُ سُبْحَانَهُ النُّعْمَةُ لِقَوْمٍ آخِرِينَ مِنْ بني إِسْرَائِيلَ بعد هلاكِ

سَلَبُ النِّعَمِ
وإِنْزَالُ النِّقَمِ مِنْ
سِنَنِ اللَّهِ لِمَنْ لَمْ
يَسْتَقِمْ

(1) الأزهرى، تهذيب اللغة، والجوهرى، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (بكي).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (نظر).

(3) الراغب، المفردات: (نظر).

(4) الأزهرى، تهذيب اللغة، والجوهرى، الصحاح، والراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب:

(نظر).

(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 139/16، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 101/5.

فرعون وقومه هلاكاً مدمراً، فلم تحزن عليهم السماء ولا الأرض لحلول هذا الهلاك بهم، ولم يكونوا مؤخرين لتوبة أو تدارك تقصير احتقاراً لهم لهوان شأنهم⁽¹⁾.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

عَلَّةُ فصل قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ عن سابقه؛ لأنَّه "استئناف ابتدائي مسوق للعبارة بعواقب الظالمين المغرورين بما هم فيه من النعمة والقوة، غروراً أنساهم مراقبة الله فيما يرضيه، فموقع هذا الاستئناف موقع النتيجة من الدليل أو البيان من الإجمال، لما في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الدخان: 17] من التنظير الإجمالي"⁽²⁾.

نكتة التعبير بـ ﴿كَمْ﴾ الخبرية:

﴿كَمْ﴾ اسمٌ لعددٍ كثيرٍ مبهم⁽³⁾، وهي هنا خبريةٌ للتكثير والتهويل؛ أي: ما أكثرَ ما ترك هؤلاء المغرَقون خلفهم من بساتين ناضرة، وعيونٍ يخرج منها الماء النَّمير، وزُرُوع كثيرة متنوعة، ومحافل ومنازل كانت مُزَيَّنَةً بألوانٍ من الزينة والزخرفة، وتنعم وترفُّه كانوا فيه يتلذذون⁽⁴⁾.

فهذا بيان لما خلف هؤلاء الهالكون غرقاً، وهو شيءٌ كثيرٌ أفاضه الله عليهم من فضله، فما زادهم ذلك إلا طغياناً وكفراً، وما هم أولاء قد خلفوه وراءهم، يعيش فيه غيرهم، وينعم به سواهم، فما أغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله من شيء⁽⁵⁾!

(1) البغوي، معالم التنزيل: 7/ 231 - 232، والجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المنتخب، ص: 735.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 301/ 25.

(3) الواحدي، التفسير البسيط: 109/ 20، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 138/ 16.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 126/ 13.

(5) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 198/ 13.

الفصل
للاستئناف؛
لبیان عاقبة
المعاندين
الأجلاف

رغم كثرة ما
تركوا؛ لم
ينفعهم حين
هلكوا

بلغة المجاز في استعمال التَّرك للدلالة على المفارقة:

أصل التَّرك: التَّخْلِيَةُ عَنِ الشَّيْءِ⁽¹⁾، وَتَرَكَ الشَّيْءَ: رَفَضَهُ قَصْداً واختياراً، أو قهراً واضطراراً⁽²⁾، وحقيقته: "إلقاء شيء في مكان منتقل عنه إبقاءً اختياريّاً، ويُطلق مجازاً على مفارقة المكان والشَّيء الذي في مكان غلبة دون اختيار، وهو مجازٌ مشهورٌ؛ يقال: ترك الميت مالا، ومنه سمِّي مخلف الميت: تَرْكَةً وهو هنا من هذا القبيل"⁽³⁾.

بلغة الإيجاز بين «مُعْرِقُونَ»، و«كَمْ تَرَكُوا»:

بين قوله تعالى: «مُعْرِقُونَ»، وقوله سبحانه: «كَمْ تَرَكُوا» إيجازٌ بحذف جمل كثيرة دلَّ عليها قوله: «كَمْ تَرَكُوا»، فالفعل «تَرَكُوا» مؤذِنٌ بأنَّهم أُغْرِقُوا وأُعدِمُوا، وذلك مقتضى أنَّ ما أمر الله تعالى به موسى ﷺ مِنَ الإِسْرَاءِ ببني إِسْرَائِيلَ وما معه مِنَ اتِّبَاعِ فِرْعَوْنَ إِيَّاهُمْ، وانفلاقِ البحر، وإزلافِ بني إِسْرَائِيلَ، واقتحامِ فِرْعَوْنَ بجنوده البحرَ، وانضمامِ البحرِ عليهم قد تمَّ، ففي الكلام إيجازٌ بحذف جمل كثيرة يدلُّ عليها «كَمْ تَرَكُوا»⁽⁴⁾.

والغرض من هذا الإيجاز هو الاختصارُ مع بيان حالِ الفعل؛ وهو إجبارُهم على ترك ما كانوا أعطوا من أموالٍ وخيراتٍ متعدِّدة الأَصْنَافِ والأنواع⁽⁵⁾.

نكتة عطف الزُّروع والمقام الكريم كلٌّ على سابقه:

عطفُ الزُّروعِ والمقامِ الكريمِ كلٌّ على سابقه؛ للإشعار بأنَّه يوجد تغايرٌ بين الجملتين مع اتِّحادهما في مسألة الحرمان؛ فالجَنَاتُ ليست هي التي يقوم أودُ الحياة بما فيها من الأشجار والثمار

التَّعبيرُ بِتَرَكَ
الأُملاكِ مؤذِنٌ
بالفناء والإهلاك

الإيجازُ لبيان
الحال،
والتَّحذيرُ من
مَغَبَّةِ المالِ

غَضَبٌ عليهم
العظيم؛
فحرمهم كلَّ
أشكالِ النَّعيمِ

(1) ابن فارس، اللقائيس: (ترك).

(2) الزَّاعِبُ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، والسَّمين الحلي، عمدة الحَقَّاق: (ترك).

(3) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْوِير: 301/25.

(4) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْوِير: 301/25.

(5) مجمع البحوث، التَّفْسير الوسيط: 856/9.

والفاكهة، وإنما الزُّرُوعُ التي هي حَبُّ الحصيد، والتي منها الخبزُ والطَّعام والغذاء، وعليها وبها تقوم حياة النَّاسِ؛ فالآيةُ هنا تُحدِّثُ عن سوادِ الشَّعبِ، وأفناءِ النَّاسِ، وتنزِّلُ من طبقةِ تملكِ الجنَّاتِ والعيونَ إلى طبقةِ تملكِ الزُّرُوعِ والمقامِ الكريمِ⁽¹⁾.

نكتة تنكير (زروع)، ودلالة مجيئها جمعًا:

جاء التَّنْكِيرُ في قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٌ﴾ لإفادة معنى التَّكْثِيرِ، وُجِّعَتْ لتأكيد ذلك، وهذا التَّكْثِيرُ مناسبٌ لمعنى الزُّرُوعِ؛ إذ إنَّ "الزُّرْعَ قد غَلَبَ على البَرِّ والشَّعِيرِ، وجمعه زُرُوعٌ، وقيل: الزُّرْعُ: نباتُ كلِّ شيءٍ يُحَرِّثُ"⁽²⁾.

التَّنْكِيرُ مع
الجمع للتَّكْثِيرِ؛
إشارةً إلى ما
كانوا فيه مِن
خيرٍ وفيرٍ

فهذه الكثرة دليلٌ على ما كان فيه القومُ مِنَ النِّعْمَةِ والخصبِ والعيشِ الرَّغيدِ، فلمَّا كفروا أَهْلَكُوا، وورثَ غيرُهم ما كانوا فيه، وتلك سُنَّةُ اللَّهِ التي قد خلت في عبادِهِ!

نكتة تنكير (مقام)، ومعنى الجواز فيه، ودلالة وصفه بـ (كريم):

جاء التَّنْكِيرُ في قوله تعالى: ﴿وَمَقَامٍ﴾ لإفادة معنى التَّعْظِيمِ؛ لأنَّه مذكورٌ في سياق مدح ما كان القومُ فيه مِنَ النِّعْمَةِ، وهو ممَّا يُلَمَحُ فيه علوُ الشَّأنِ، لا كثرةُ الكَمِّ والمقدارِ، فهو بمعنى التَّعْظِيمِ أَلِيْقٌ، والتَّعْظِيمُ به الصَّقُّ.

التَّنْكِيرُ
للتَّعْظِيمِ؛ زيادةً
في بيان ما حلَّ
بهم مِنَ الحسرةِ
والعذابِ الأليمِ

والمقام - بفتح الميم -: مكانُ القيامِ، والقيامُ هنا مجازٌ في معنى التَّمَكُّنِ مِنَ المكانِ، والمراد به: المساكنُ والديارُ والأسواقُ ونحوها ممَّا كان للهاكين في مدينتهم العامرة⁽³⁾، وليس بلازم أن يكون قصورًا كقصور الخاصة، وإنما هو مسكنٌ آدميٌّ، فحتَّى عامَّةُ النَّاسِ منهم كانوا يعيشون حياةً أمنةً مطمئنةً إلا أنَّهم كانوا أَشْرِينَ بَطْرِينَ فحَرِّمُوا ذلك كُلَّهُ⁽⁴⁾!

(1) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 619.

(2) ابن منظور، لسان العرب: (زرع).

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ والتَّنْوِيرُ: 302/25.

(4) محمد أبو موسى، آل حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 619.

ووصفَ المقامَ بـ ﴿كَرِيمٍ﴾ للدلالة على حسنه وشرفه في بابه⁽¹⁾،
 "والكريم من كل نوع: ما يجمع فضائله، وهو صفة لكل ما يرضي في
 بابه، يقال: وجه كريم؛ أي: مرضي بحسنه وجماله، وكتاب كريم؛
 مرضي في معانيه وفوائده، ونبات كريم: مرضي فيما يتعلق به من
 المنافع، قال تعالى: ﴿كَمْ أَثْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾^(٧) الشعراء:
 ١٧، وقس على ذلك الإنسان، والحيوان، والمكان"⁽²⁾.

دلالة عطف قوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَلَكَيْهِنَ﴾ على سابقه:

العطف في قوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَلَكَيْهِنَ﴾ هو من عطف
 العام على الخاص⁽³⁾، "لأن هذه الآية الثالثة لم تتكلم عن شيء يطعم
 كما تكلمت الأولى والثانية، وإنما هي وصف عام لكل الذين يعيشون على
 أرض مصر في ذلك الوقت، يستوي في ذلك أصحاب القصور والجنات
 التي فيها العيون، وأصحاب الزروع الذين يقيمون في مزارعهم المبسوطة
 الشاسعة؛ الكل متنعم وإن تفاوتت درجات التنعم، المهم أنه ليس هناك
 على أرض الكنانة من يعيش في ذلك الزمن تحت خط الفقر"⁽⁴⁾ فكفروا
 بأنعم الله، فحرموا الحياة وممتعها!

نكتة تنكير (نعمّة) ودلالة إفرادها:

جاء التنكير في قوله تعالى: ﴿وَنَعْمَةً﴾ للتعظيم؛ لأنها مسوقة
 في معرض المدح مراداً بها علو الشأن؛ أي: ونعمة عظيمة جسيمة،
 ويصح أن يكون المراد بالتنكير: التكثير؛ أي: وتنعماً كثيرة صورته
 وأشكاله، ويؤيده ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾.

"والنعمّة - بفتح النون -: اسم للتنعم مصوغ على زنة المرة،

رفضوا الانقياد
 لأوامر الله؛
 فحرموا كل متع
 الحياة

التنكير للتعظيم
 أو للتكثير، لبيان
 ما كانوا فيه من
 النعم الكثير

(1) الألوسي، روح المعاني: 122 / 13.

(2) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 674 / 8.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 126 / 9، والدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 674 / 8.

(4) محمد أبو موسى، حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 619.

وليس المراد به المرة، بل مطلق المصدر باعتبار أن مجموع أحوال النعيم صار كالشيء الواحد، وهو أبلغ وأجمع في تصوير معنى المصدر، وهذا هو المناسب لفعل «تَرْكُوا»؛ لأنَّ المتروك هو أشخاص الأمور التي يُنعم بها وليس المتروك، وهو المعنى المصدري⁽¹⁾.

دلالة التعبير بالكون الماضي في قوله: «كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ»:

يفيد التعبير بالماضي الدلالة على التَّحَقُّق والتَّوَكُّد، وإذا كان هذا الفعل هو فعل الكون فإنَّ دلالته على التَّحَقُّق تكون آكد من غيره؛ ذلك أنَّه مختصُّ بالجملة الاسميَّة فهو من نواسخها، والجملة الاسميَّة تدلُّ على الثبوت والدَّوام.

فقوله تعالى: «كَانُوا فِيهَا»؛ أي: دائماً «فَكَيْهِنَ»؛ أي: فعلهم في عَيْشِهِمْ فعلُ المترفِّه لا فعلُ مَنْ يُضطرُّ إلى إقامة نفسه⁽²⁾.

معنى الظرفيَّة في «كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ»:

الأصل في معنى (في) أنَّه موضوع للدَّلالة على الظرفيَّة والوعاء، مكانيةً أو زمانيةً، حقيقيَّة أو مجازيَّة⁽³⁾.

وهو في هذا الموضع للظرفيَّة المجازيَّة، كأنَّه جعل (النَّعمة) مكاناً أو ظرفاً يحوي ما فيه؛ «أي: كانوا مغمورين في النِّعمة لآعين في تلك النِّعمة»⁽⁴⁾، وكانت النِّعم محيطَّة بهم إحاطة الحصن؛ ممَّا يدلُّ على أنَّهم كانوا يعيشون في خيراتٍ كثيرةٍ، ونعمةٍ عظيمةٍ وفيرةٍ.

نكتة تقديم شبه الجملة «فِيهَا» على الخبر:

قدَّم شبه الجملة «فِيهَا» على خبر النَّاسخ «فَكَيْهِنَ»؛ للاهتمام بالمقدِّم، والتَّشويق للمؤخَّر، ولبيان عِظَم قدرِ هذه النِّعمة التي كانوا

عاشوا حياتهم
في اغترارٍ حتى
جاءهم الهلاكُ
بغتةٍ من المنتقم
الجبَّار

كانوا في النِّعيم
مغمورين،
فأصبحوا
بكفرهم من
المهلِّكين

التَّقديم
للتَّشويق
والاهتمام؛
للتَّدليل على
استحقاق
الهلاك والانتقام

(1) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 302 / 25.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 28 / 18.

(3) سيبويه، الكتاب: 226 / 4، والزَّمخْشَرِي، الفصل، ص: 381، وابن يَعِيش، شرح للفصل: 4 / 471،

والسَّامِرَاوِي، معاني النحو: 57 / 3.

(4) ابن عاشور، التَّحْريِر والتَّنْويِر: 302 / 25.

مغمورين فيها، وعِظَمَ قَدْرُ الحَسرة عليها بعد أن سُلِبَها، وقد أفاد هذا التّقديم - إضافةً إلى ذلك - محسّنَ رِعايةِ الفاصلة.

دلالة التعبير ﴿فَلَكِهَيْنَ﴾ مادّةً وصيغة:

أصل الفكّه يدلُّ على طيّبٍ واستطابة، فمن ذلك يُقال: الرَّجُلُ الْفَكْه؛ أي: الطَّيِّبُ النَّفْسُ، ومن الباب: الفاكهة؛ لأنها تُسْتَطَابُ وتُسْتَطَرَفُ، ومنه أيضًا: المُفَاكَهَة، وهي الممازحة وما يُسْتَحْلَى مِنْ كلام⁽¹⁾.

"وجملة ﴿كَانُوا فِيهَا فَلَكَهَيْنَ﴾ فاصلةٌ جامعةٌ للآيات التي هي جملةٌ واحدةٌ مِنْ أَوَّلِ ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾، ومعنى ﴿فَلَكَهَيْنَ﴾: فَرِحِينَ مَغْتَبِطِينَ مَتَفَكِّهِينَ؛ لأنها تصف أحوالاً نفسيةً كثيرةً كلّها مِنْ بابِ المسرّة والغبطة وافتقارِ الأحزان وما يجلبُ الأحزانَ، والذي دَمَّرَ كُلَّ ذلك غرورٌ وصلَفٌ وأطماعٌ فرعونٌ ونفاقٌ مَنْ حَوْلَهُ"⁽²⁾!

والتعبيرُ باسمِ الفاعل يدلُّ على الثُّبوتِ والدَّوامِ دلالةً على ما كانوا فيه مِنَ الاستقرار.

توجيه القراءات القرآنية المتواترة لقوله: ﴿فَلَكَهَيْنَ﴾:

قرأ أبو جعفر: ﴿فَلَكَهَيْنَ﴾ بالقصر⁽³⁾، وقرأ الجمهور: ﴿فَلَكَهَيْنَ﴾

- بالألف - ومعناها:

ناعمين، والفاكهة: الطَّيِّبُ النَّفْسُ، أو يكون بمعنى: أصحابِ فاكهة؛ كلابنٍ وتامرٍ (مِنَ اللَّبَنِ والتَّمْرِ)، والمعنى على قراءة أبي جعفر قريبٌ مِنْ هذا؛ لأنَّ الفكّه يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِي الْمُسْتَحِفِّ الْمُسْتَهْزِئِ، فكأنَّه هنا يقول: كانوا في هذه النعمة مستخفين بشكرها والمعرفة بقدرها⁽⁴⁾.

وعليه، فالقراءتان تؤدِّيَانِ معنيين متآزرين، هما معاً كالمعنى الواحد،

كانوا في النعمة
قارّين مترفين،
لا مضطرين ولا
مقهورين

ثراء الدلالات
بتعدد القراءات
والتأويلات

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد حسن جبل، العجم الاشتقاقي المؤصل: (فكه).

(2) محمد أبو موسى، حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 619.

(3) البنا، إتحاف فضلاء البشر، ص: 499.

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 73/5.

فهؤلاء القوم كانوا متعتمين مترفّهن خائضين في أسباب نعمةٍ عظيمةٍ لم يؤدّوا شكرها، ولم يقوموا بحقّها، بل استخفّوا بها، فاستحقّوا الهلاك!

معنى التشبيه ودلالته في ﴿كَذَلِكَ﴾:

تشبيه للخروج
بالخروج؛
تحذيرًا لمن
كان في لجج
العصيان يموج

يجوز أن تكون الكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾ في حيّز النصب، على أن (ذلك): إشارة إلى مصدر يدلّ عليه الفعل ﴿تَرْكُوا﴾؛ وعلى هذا فالمعنى: مثل ذلك السلب سلبناهم إيّاها، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾، أو: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها، أو: انتقمنا انتقامًا كذلك، ويجوز أن معطوفًا على ﴿تَرْكُوا﴾، ويكون الوقف على: ﴿كَذَلِكَ﴾ والجملة معترضة بين الجملة اللاحقة والسابقة المتعاطفتين⁽¹⁾.

وكأنّ الأمر يؤوّل إلى تشبيه الإخراج بالإخراج، ولا يكون هذا إلا لقصد اللفت إلى العبرة في هذا الإخراج وأنّ الله تعالى أخرج الظالم المتغطرّس فرعون، وأهلكه وأهلك معه حُرّاسه وجنوده وأذنا به من المنافقين والموالين الذين كانوا يُزيّنون له ويُزيّن لهم، وهذا إخراج لو أردت تشبيهه بشيءٍ تُلحّقه به وتزيده به إيضاحًا وبيانًا فلن تجد أتمّ في معناه منه؛ فلذلك تشبّهه بنفسه تعظيمًا وتفخيماً⁽²⁾.

نكتة التعبير باسم الإشارة للبعد في ﴿كَذَلِكَ﴾:

عُبر بالبعد
لإفادة
التعظيم، وأنّ
إهلاك القوم
أمرٌ في الموعظة
عظيم

جاء التعبير باسم الإشارة للبعد في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ لإفادة التعظيم، فقد كان إهلاك فرعون وجنّده بالطريقة التي ذكرها الله تعالى في القرآن أمرًا عظيمًا، وكان تركهم للجنّات والعيون والزروع والمقام الكريم من ورائهم أمرًا عظيمًا، وإيراث غيرهم إيّاها أمرًا عظيمًا كذلك، وليس بعظيم على الله تعالى، حاشاه، بل هو عظيم في باب العبرة والعظة!

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 276، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 660، وابن عادل، اللباب: 17/ 322، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 62 - 63، والدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 8/ 675.

(2) محمد أبو موسى، حم: الشورى، الزخرف، الدخان، ص: 621.

معنى الواو ودلائلها في ﴿أَوْرَثْنَهَا﴾:

الواو عاطفةٌ لفعل (أَوْرَثْنَهَا) على سابقه، ويتحدّد المعطوفُ عليه بناءً على توجيه معنى الكاف في ﴿كَذَلِكَ﴾ كما تقدّم بيانه، فلو جرينا على توجيه النَّصَب في الكاف فإنَّ (أَوْرَثْنَهَا) معطوفٌ على الفعل المقدّر النَّاصِب للكاف، والمعنى: مثَل ذلك الإخراج أخرجناهم، أو: مثَل ذلك الإهلاكِ أهلكناهم، أو: انتقمنا انتقاماً كذلك، ﴿وَأَوْرَثْنَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾. تكون الكاف في حيز الرَّفْع على الخبريّة؛ أي: الأمرُ كذلك، فحينئذٍ يكونُ (أَوْرَثْنَهَا)

مَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ
ذِي الْمَلَكُوتِ
وَالشُّلْطَانِ؛
عُوقِبَ بِالنَّكَالِ
وَالْخُسْرَانِ

ولو جرينا على توجيه الرَّفْع في الكاف فإنَّ (أَوْرَثْنَهَا) معطوفٌ على ﴿تَرَكُوا﴾، وجملَةٌ ﴿كَذَلِكَ﴾ معترضةٌ بينهما، والمعنى: ﴿تَرَكُوا﴾ الجنّاتِ والعيونَ والزُّروعَ - الأمرُ ﴿كَذَلِكَ﴾ - ﴿وَأَوْرَثْنَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾⁽¹⁾.

وعلى الوجه الأوّل يكون الإيراثُ مترتباً على الإخراج والإهلاك، وكلاهما مسندٌ إلى الله تعالى: (أخرجناهم منها وأهلكناهم وأورثناها قوماً آخرين)، وعلى الوجه الثاني يكون الإيراثُ معطوفاً على تركهم للجنّات والعيون ... إلخ: ﴿تَرَكُوا﴾ ... ، ﴿وَأَوْرَثْنَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

توجيه عود الضمير في (أَوْرَثْنَهَا):

بحسب قواعد اللغة فإنَّ ضمير الغائب في قوله تعالى: (أَوْرَثْنَهَا) يعودُ على أقربِ مذكورٍ، وهو: الجنّاتُ والعيون، والزُّروعُ والمقامُ الكريم، والنَّعمةُ التي كان قوم فرعونَ فيها فاكهين.

وقد سمّى الله تعالى انتقالها من تصرف قوم إلى قوم آخرين: وراثَةً؛ من حيث كانت أشياء أناسٍ وصلت إلى قومٍ آخرين من بعد موت الأوّلين، وهذه حقيقة الميراث في اللغة⁽²⁾.

عُودُ الضَّمِيرِ
إِلَى مَا كَانُوا فِيهِ
مُتَرْفِعِينَ؛ إِظْهَارًا
لِلْغَلْبَةِ وَالتَّمَكِينِ

(1) السّمين الحلبي، الدُّرُّ للصون: 623 - 624، ومحمود صافي، الجدول: 13 / 172.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5 / 73.

ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي هَؤُلَاءِ الْآخَرِينَ، فَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ مَن مَلَكَ مِصْرَ بَعْدَ الْقِبْطِ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ هُم بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَدَلِيلُهُمْ أَنَّ هَذَا هُوَ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ كَمَا وَرَدَ فِي نَظِيرَةِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: 59]، فَهَذِهِ الْآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي تَوْرِيثِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلْجَنَّاتِ وَالْعِيُونِ الَّتِي خَلَفَهَا فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ بَعْدَ غَرَقِهِمْ، بِمَعْنَى أَنَّهُمْ عَادُوا إِلَى مِصْرَ بَعْدَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ مَعَهُ كَمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ، وَلَكِنَّ عَوْدَتَهُمْ كَانَتْ لِفَتْرَةٍ مُعَيَّنَةٍ، خَرَجُوا بَعْدَهَا إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي دَعَاهُمْ نَبِيُّ اللَّهِ مُوسَى ﷺ لِدُخُولِهَا⁽¹⁾.

وَقَدْ أَشْكَلَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَنَّهُ لَمْ يُرَوْ فِي التَّارِيخِ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجَعُوا إِلَى مِصْرَ فِي شَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَلَا مَلَكَوْهَا قَطُّ، بَلْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهُمْ كُتِبَ عَلَيْهِمُ التَّيَّةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي أَرْضِ سِينَاءَ عَقُوبَةً لَهُمْ لَمَّا أَمَرُوا بِدُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَجَبَّنُوا، وَخَافُوا الْعَمَالِيْقَ⁽²⁾.

فَبَقِيَ سَوْأَلٌ، وَهُوَ: كَيْفَ وَرِثَ بَنُو إِسْرَائِيلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كَمَا نَصَّتْ عَلَيْهِ آيَةُ سُورَةِ الشُّعْرَاءِ إِنْ لَمْ يَكُونُوا عَادُوا إِلَى مِصْرَ؟

وَالْجَوَابُ: أَنَّهُمْ لَمْ يَرِثُوا شَخْصَهَا وَذَوَاتَهَا، بَلْ وَرِثُوا أَشْبَاهَهَا وَأَجْنَاسَهَا وَأَنْوَاعَهَا فِي بِلَادِ الشَّامِ، وَهَذَا مِنْ بَابِ: (عِنْدِي دِرْهَمٌ وَنِصْفُهُ)؛ أَيِ: وَنِصْفُ دِرْهَمٍ مِنْ جِنْسِ هَذَا الدَّرْهَمِ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ خُصُوصَ مَا تَرَكَهُ، بَلْ نَوْعَهُ وَمَا يُشَبِّهُهُ⁽³⁾.

وَعَلَيْهِ فَالضَّمِيرُ فِي (أَوْرَثْنَاهَا) عَائِدٌ إِلَى أَجْنَاسِ الْأَشْيَاءِ الْمَعْدُودَةِ؛ أَيِ: أَعْطَيْنَاهُمْ مِنْ جِنْسِ الْجَنَّاتِ وَالْعِيُونِ وَالْكَنُوزِ مِثْلَ مَا كَانَ لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ مِنْ جَنَّاتٍ وَعِيُونٍ وَكَنُوزٍ الْكَنَعَانِيِّينَ حَتَّى سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَغَلَبُوهُمْ عَلَى أَرْضِ فِلَسْطِينَ وَالشَّامِ⁽⁴⁾.

نَكْتَةُ إِسْنَادِ الْفِعْلِ إِلَى نُونِ الْعِظَمَةِ:

أُسْنِدُ الْفِعْلِ ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ إِلَى نُونِ الْعِظَمَةِ تَبْيِيْهُاً عَلَى أَنَّ تَحْوِيلَ حَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ

(1) ابن كثير، تفسير القرآن: 7/ 253، والآلوسي، روح المعاني 13/ 122، وطنطاوي، الوسيط: 13/ 127.

(2) ابن عطية، للحرر الوجيز: 5/ 73، وعبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 13/ 199.

(3) الآلوسي، روح المعاني 13/ 122، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 303.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 133.

الله العظيم لا
يُخلفُ الميعاد،
ويورث الأرض
مَن شاءَ مِنَ
العباد

التَّعبيرُ
بالإيراث؛
لسرعة التَّمكُّنِ
والانبعاث

الاستعباد إلى وراثته هذا النَّعيم وتَمْلِكُهُ إِنَّمَا هو مِن آثار عظمة هذا
الرَّبِّ الجليل القادر القهار، قاصم الجبارين، ونصير المستضعفين،
الذي لا يُخلف الميعاد، وبيده أقدارُ العباد.

دلالة التَّعبير بالإيراث مادَّةً وصيغةً:

أصلُ الإرث: صيرورةُ شيءٍ ما كان لقوم إلى آخرين⁽¹⁾، أو هو:
حَوْزُ الإنسانِ ما كان يملكه آخرٌ بعد موتِ هذا الآخر⁽²⁾، فالوراثَةُ
والإرثُ: انتقالُ قُنيةٍ إليك عن غيركَ مِن غير عَقْدٍ، ولا ما يجري
مجرى العقد⁽³⁾.

وقد أُوثر التَّعبيرُ بالإيراث للدلالة على التَّمكُّنِ في قوله تعالى:
(أَوْرَثْنَاهَا)؛ لأنَّ الوارثين لم يَتَمَلَّكُوا تلكَ الجَنَّاتِ والعيونَ والكنوزَ
بالفعل بمجرَّد خروجِ فرعونَ وجنوده منها، بل مُكِّنَتْ لهم، فالمعنى:
مَكَّنَّا تلكَ الجَنَّاتِ والعيونَ والكنوزَ والمقامَ الكريمَ إيَّاهم على طريقة
مال المورِّث للوارث؛ لأنَّ الوارثَ يَنْتَقِلُ المالُ ملكه بمجرَّد موتِ مورِّثه،
لا بقبضه للمال بالفعل، فشابهت صورة التَّمكُّنِ للجَنَّاتِ والعيونِ
والكنوزِ بمجرَّد إخراجِ فرعونَ وجنوده منها، دون تَمَلُّكِ لها بالفعل،
بصورة تَمَكَّنَ الوارثُ مِن مالِ مورِّثه بِمَجَرَّدِ موته، وإن لم تكن يدهُ
على ذلك المال بالفعل؛ كأنَّهم ملكوها مِن حين خروجِ أربابها منها
قبل أن يقبضوها ويتسلَّموها⁽⁴⁾.

وقيل: المراد مِن إيراثها إيَّاهم: تمكينُهم مِن التَّصَرُّفِ فيها، ولا
يتوقَّف ذلك على رجوعهم إلى مصر كما كانوا فيها أوَّلًا⁽⁵⁾.

وقد عبَّرَ فيها بالماضي مسندًا إلى نون العظمة؛ لإفادة معنى

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورث).

(2) محمد حسن محمد جبل، المعجم الاشتقاقي للوُصل: (ورث).

(3) الراغب، المفردات، والسَّمين الحلي، عمدة الحَقَّاق: (ورث).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 133 / 19.

(5) الألوسي، روح المعاني: 122 / 13.

التَّحَقُّقُ مع بيان عظمة الفعل، وأنَّه لا يَقْدِرُ عليه إلاَّ عظيم، وهو الله ﷻ.

نكتة تنكير ﴿قَوْمًا﴾ ودلالة وصفه بـ ﴿آخَرِينَ﴾:

جاء التَّنْكِيرُ في قوله تعالى: ﴿قَوْمًا﴾ للتَّعْظِيمِ؛ لأنَّهم كانوا ذوي قوَّةٍ في القيام على ما يحاولونه⁽¹⁾.

أَصْرُوا أَنْ يَكُونُوا
مُتَكَبِّرِينَ؛
فَانْتَزَعُ سُبْحَانَهُ
مُلْكَهُمْ، وَأُورِثُهُ
قَوْمًا آخَرِينَ

وقد يكون التَّنْكِيرُ لعدم إرادة التَّعْيِينَ، بدلالة وصفه بـ ﴿آخَرِينَ﴾، فليس المراد تعيين الورثة، بل المراد بيان انتقال الملك من أيدي المهلكين إلى غيرهم بغضِّ النَّظَرِ عن تحديد هؤلاء الورثة المنقول إليهم؛ فمَجْرَدُ انتقال الملك يوحي بالحسرة على المنقول منهم، والاعتبار بحالهم.

ووصفَ الذين ورثوهم بـ ﴿آخَرِينَ﴾؛ لأنَّهم ليسوا منهم في شيءٍ من قرابةٍ ولا دينٍ ولا ولاءٍ، وهم بنو إسرائيل - على أحد الأقوال - كانوا متسخِّرين مستعَبَدِينَ في أيديهم، فأهلكهم الله على أيديهم، وأورثهم مُلْكَهُمْ وديارَهم⁽²⁾.

وقد يكون الوارثون هم أبناء أولئك المغرَّقين، وسُمُّوا ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾؛ لأنَّ آبَاءَهم كانوا على حالٍ من الضَّلال، بحيث لا يكادُ يجمعُهم بأبنائهم أي وجهٍ من وجوه الشَّبه، فمهما ورث أبناءُهم من بعدهم من الكفر والضَّلال، فإنَّ المسافةَ بينهم وبين أبنائهم ستظلُّ دائمًا بعيدة؛ لأنَّ آبَاءَهم قد بلغوا في هذا الضَّلال غايةً لا يبلغها أحد⁽³⁾.

معنى الفاء ودلالته في ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ للتَّنْفِيعِ على قوله سبحانه: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ﴾ إلى قوله ﷻ:

الفاء للتَّنْفِيعِ؛
لِلزِّيَادَةِ مِنْ
التَّوْبِيخِ
والتَّنْفِيعِ

(1) الخطيب الشربيني، المبسوط للنير: 3/ 585.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 276، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 122.

(3) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 199.

﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُمْ هَلَكُوا وانقرضوا؛ أي: فما كان مَهْلِكُهُمْ إِلَّا كَمَهْلِكِ غَيْرِهِمْ، ولم يكن حَدَثًا عَظِيمًا كما كانوا يحسبون ويحسب قَوْمُهُمْ، وهذا الكلام مَسْوقٌ مَسَاقَ التَّحْقِيرِ لَهُمْ⁽¹⁾.

سُرِّيَاثَارِ النَّفْيِ بِ﴿فَمَا بَكَتْ﴾:

أَوَثَرَ النَّفْيُ بِ﴿فَمَا بَكَتْ﴾ دون (لم تبك) مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْمَاضِي الْمُنْفَى بِ(ما) يَكُونُ فِي الْغَالِبِ لِنَفْيِ الْمَاضِي الْقَرِيبِ مِنَ الْحَالِ، وَأَمَّا (لم) فَلَيْسَتْ مَقِيدَةً بِزَمَنِ مِنْ أَزْمَنَةِ الْمَضِيِّ، وَهَذَا هُوَ الْمُنَاسِبُ لِسِيَاقِ الْآيَاتِ هُنَا.

هَذَاكَ أَهْلُ
الْإِجْرَامِ لَا يُؤَثِّرُ
فِي شَيْءٍ مِنَ
الْأَجْرَامِ

كما أَنَّ (ما) أَكَّدُ فِي النَّفْيِ مِنْ (لم)؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَقَعُ جَوَابًا لِلْقَسَمِ بِخِلَافِ (لم).

فَكَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَ: أَمَا بِكَأَهُمْ أَحَدٌ؟ أَلَمْ تَبْكِهِمْ مَنَازِلَهُمُ الَّتِي فَارَقُوها؟ فَيَأْتِيهِ الْجَوَابُ: بِ(لا)، فَيَحْصُلُ مِنْهُ نَوْعُ تَرَدُّدٍ أَوْ شَكٍّ لَدَى السَّائِلِ، فَيُؤَكِّدُ لَهُ الْكَلَامُ بِالْقَسَمِ: (وَاللَّهِ مَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَلَا الْأَرْضُ!)، فَكَثِيرًا مَا تَكُونُ (ما) رَدًّا عَلَى كَلَامٍ أَوْ مَا نُزِّلَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ.

هَذَا ... وَثَمَّ فَرَقٌ بَيْنَ دُخُولِ (ما) عَلَى الْمَاضِي، وَدُخُولِ (لم) عَلَى الْمَضَارِعِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ أَنَّ الْمَاضِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ انْقَضَى، وَأَمَّا الْمَضَارِعُ فَإِنَّهُ قَدْ يَدُلُّ عَلَى التَّكَرُّارِ وَالتَّجَدُّدِ وَالتَّطَاوُلِ، فَقَوْلُنَا: (كَتَبَ) يَدُلُّ عَلَى انْتِهَاءِ الْحَدِيثِ وَانْقِضَائِهِ، وَقَوْلُنَا (يَكْتُبُ) يَدُلُّ عَلَى تَجَدُّدِ الْحَدِيثِ وَاسْتِمْرَارِهِ، فَإِذَا دَخَلَتْ (ما) عَلَى الْمَاضِي دَلَّ عَلَى انْتِفَاءِ الْحَدِيثِ بِصِغَةِ الْمَضِيِّ، وَإِذَا دَخَلَتْ (لم) عَلَى الْمَضَارِعِ دَلَّ عَلَى انْتِفَاءِ الْحَدِيثِ فِي الْمَضِيِّ، لَكِنْ بِصِغَةِ التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ؛ فَدُخُولُ (لم) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ لَمْ يَحْصُلْ فِي الْمَاضِي عَلَى تَطَاوُلِ الْمُدَّةِ وَاسْتِمْرَارِهَا⁽²⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 303 / 25.

(2) السامرائي، معاني النحو: 4 / 193 - 195.

وهذا الوجه الأخير أنسب في باب التعجب ممَّن لم تبيكه السَّماءُ ولا الأرضُ على طول المدَّة واستمرارها إذا كان ممَّن يستحقُّ أن يُرثى، أمَّا مع قوم فرعونَ فلا عَجَب في أنَّ السَّماءَ والأرضَ لم تبكياهُم، فاكْتَفَى فيه بنفي الفعل في زمن المُضِيِّ فقط.

معنى (على) ودلالتهما في ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ﴾:

الأصلُ في معنى (على) أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على الاستعلاء حقيقياً كان أم مجازياً، ولفظها يدلُّ على ذلك، فهي من العُلُوِّ⁽¹⁾. وفي البكاء على الميِّت يقال: بكَّيته وبكيتُ عليه بمعنى واحد: إذا بكيت عليه⁽²⁾.

مِن طاعة
السَّماء والأرض
لربِّ العالمين؛
أن لا تبكيا على
القوم الكافرين

وهنا يُتصوَّر الميِّتُ صريعاً مهدداً على فراشه أو دفيناً في قبره، والحيُّ جالساً في مستوًى أعلى منه يبكي عليه، فكأنَّه يجلِّله بدموعه ويصبُّها فوقه، ويغمُرُه بها، فمعنى الاستعلاء ملحوظٌ فيه.

وهو أيضاً ملحوظٌ في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ فالسَّماءُ هي كلُّ ما علا، وأمَّا الأرضُ فإنَّهم ماتوا غرقاً في البحر، فكانت اليابسة كذلك فوقهم.

بلاغة الاستعارة في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ تخيليَّةٌ؛ حيث شبَّه السَّماءَ والأرضَ بمن يصحُّ منه الاكتراث، ثمَّ حذفَ المشبَّه به، وهو من يصحُّ منه الاكتراث، واستعار له شيئاً من لوازمه، وهو البكاء، وجعله بعضُهم مجازاً مرسلًا عن الاكتراث بهلاك الهالك، والعلاقة السببيَّة، حيث ذكرَ المسبَّب، وأراد السَّبب، فإنَّ الاكتراث المذكورَ سببٌ يؤدِّي إلى البقاء عادةً⁽³⁾.

هانت مصيبتُهم
على جميع
الأشياء؛ فما
بكتُهم أرضٌ ولا
سما

(1) سيبويه، الكتاب: 4/ 230، والزمخشري، الفصل، ص: 384، وابن يعيش، شرح الفصل: 4/ 497، والسمرائي، معاني النحو: 3/ 47.

(2) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (بكي).

(3) الألويسي، روح المعاني: 13/ 122، والدَّرة، تفسير القرآن وإعراجه وبيانه: 8/ 676.

ويصحُّ أن تكون مكنيةً بلا تخيل، وإجراؤها يكون بتشبيه السماء والأرض بالإنسان الذي يبكي، ثم حُذِفَ المشبَّه به، وأُتِيَ بشيءٍ من لوازمه، وهو البكاء على سبيل الاستعارة المكنية.

وقد كثر في التّعظيم لمهلك الشخص أن يُقال: بكت عليه السماء والأرض، وبكتهُ الرِّيحُ ونحو ذلك، وقد كانت العرب تقول عند موت السيّد منهم: بكت له السماء والأرض؛ أي: عمّت مصيبتُهُ الأشياءَ حتّى بكتها الأرضُ والسماءُ، والرِّيحُ والبرقُ⁽¹⁾؛ فأخبر سبحانه محدثاً قريشاً من هذه العاقبة الوخيمة أنّ هؤلاء لم يتأثّر بموتهم أحدٌ، ولم يحزن على فقدهم أحدٌ؛ فهم أهون من أن تبكّيهم أرضٌ أو أن تحزن لهلاكهم سماء!

معنى التعريف في ﴿السماء والأرض﴾، ونكتة إفراهما:

يصحُّ أن يكون التعريف في ﴿السماء والأرض﴾ للعهد؛ حيث المقصود بالسماء السقف الذي يظلل الأرض، والمقصود بالأرض المهاد الذي يعيش فوقه الخلق، فتلك السماء التي أظلتهم، والأرض التي أفلتتهم لم تبك واحدة منهما عليهم حزناً على فراقهم، فلم يُرَفَّع إلى السماء عملٌ لهم صالح، ولم تشهد بقعة من الأرض على خير منهم.

ويصحُّ أن يكون التعريف فيهما للجنس، فكأنَّ كلَّ السماوات وكلَّ الأرضين لم تبك على هؤلاء الهالكين واحدة منها! فما كان أهونهم!

نكتة عطف الأرض على السماء بالواو مع إسقاط حرف النفي:

في عطف الأرض على السماء بيانٌ لشمول السخط على هؤلاء المهلكين فيما أحاط بهم من الكون، من فوقهم ومن تحت أرجلهم! وعدم تكرر حرف النفي أفاد اتّحاد سخط السماء والأرض

لم تبك الهالكين
أرض ولا سماء،
فقد كانوا لهما
بمنزلة الداء

ذهبوا كما
يذهب الوباء،
يتنفّس الناس
بعده أنفاس
العافية والرجاء

(1) القرطبي: 16/ 139، والآلوسي، روح المعاني 13/ 122.

وعدم اكترائهما بهؤلاء المبعدين، لأنه لو أعيدَ حرفُ النَّفي فقل: (ولا الأرض) لربما توهم أن للسماء سخطاً مختلفاً عن سخط الأرض، وأن كلا منهما استقلت بسخطها، لكن لما عطفَت الأرض على السماء مع عدم تكرار حرف النَّفي أفاد ذلك اتحاد السَّخطين وكأنَّهما شيء واحد لا يتبعض.

وفي هذا دلالة على أن المخلوقات العظيمة تسبح الله تعالى وتعظمه بقدر ما هي عليه من العظمة، ومن تعظيمها لربها وخالقها أنها تليق للطائعين، وتموز بالعاصين؛ غضباً لانتهاك حرّمات رب العالمين!

نكتة عطف قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ على سابقه:

عطف قوله: ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ على سابقه؛ لأنه كالتميم لعدم الاكتراث بالمذكورين؛ ذلك أن العادة جرت بأن من قضى عليه بالموت قد يستمهّل في بعض الأوقات لمثل وصيّة وقضاء حاجة قبل أن يقتل، فجاء قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ مخبراً أن قوم فرعون كانوا دون ذلك، والمقصود من هذا تحذير من بعدهم من القرشيين الذين كفروا بالنبي ﷺ وأذوه⁽¹⁾.

وحاصل المعنى: "أن هؤلاء المغرقين الذين كانوا ملء السمع والبصر، وكانوا يذنون غيرهم، وكانوا يملكون الجنّات والعيون، هؤلاء الطغاة لم يحزن لهلاكهم أحد من أهل السماوات أو أهل الأرض، ولم يؤخر عذابهم لوقت آخر في الدنيا أو في الآخرة، بل نزل بهم الغرق والدمار بدون تأخير أو تسويق.

فالمقصود من الآية الكريمة بيان هوان منزلة هؤلاء المغرقين، وتقاهة شأنهم، وعدم أسف أحد على غرقهم؛ لأنهم كانوا ممقوتين من كل عاقل⁽²⁾!

وإذا لم يبك
السكن فما ظنك
بالساكن؟!

(1) البقاعي، نظم الدرر: 30 / 18.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 128 / 13.

دلالة التعبير بالكون الماضي ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ دون ﴿وَمَا أَنْظَرُوا﴾:

التعبير بالكون الماضي في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ يفيد المبالغة في تأكيد نفي الإنظار عنهم.

وقد زاد هذا التأكيد رسوخاً التعبير باسم المفعول ﴿مُنْظَرِينَ﴾؛ فقد كانوا عريقين في فعلٍ ما اسْتَحَقُّوا به المعالجة بالعقوبة، وفيه كذلك دلالة على أَنَّ تلك العقوبة قد كُتِبَتْ لهم في اللوح المحفوظ، وأنَّهم - في مدَّة تنعُمهم وإن طالَّت - لم يكونوا مُعَامِلِينَ معاملة المنظر الممهَّل حتَّى يظنَّ ظانُّ أنَّ عقوبتهم قد تأخَّرت! فبقاءً في نعيم يعقبه خلود في جحيم لا يعدُّ بقاءً وإن طال!

وليس في التعبير بـ﴿وَمَا أَنْظَرُوا﴾ مِنَ التأكيد وبيان الاستحقاق للعقاب ما في ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

نكتة حذف معمول الإنظار:

حُذِفَ معمولُ الإنظار في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ لأنَّه مفهومٌ من سياق الكلام، إذِ المعنى: وما كان فرعونُ وقومُه لما جاء وقتُ هلاكهم مُمَهَّلِينَ ولا مُؤَجَّلِينَ إلى وقتٍ آخر أو إلى يوم القيامة، بل عَجِّلَ لهم عذابُ الاستئصال في الدنيا لشِدَّةِ جرمهم⁽¹⁾.

وقد أفاد هذا الحذف أيضاً محسِّن الرِّعاية على الفاصلة، فكان حُسْنًا على حُسن!

❁ الفروق المعجمية:

التَّركُ والتَّخليفُ:

الفرقُ بينهما أنَّ التَّخْلِيْفَ هو تركُ الشَّيء في الخَلْف⁽²⁾؛ فدلَّ ذلك على أنَّ التَّركَ أَعْمُ منه، ولما كان ما تركه فرعونُ وجنودُه من

التَّعبيرُ بالكون
الماضي لإفادة
الاستحقاق،
وبيان ما تلبَّسوا
به مِنَ الشَّقاق

حَسَنٌ حذفُ ما
يُعْلَمُ مِنَ المقام،
وما دَلَّ عليه
سياقُ الكلام

التَّركُ أَعْمُ مِنَ
التَّخْلِيْفِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 123، ومجمع البحوث الإسلامية، التفسير الوسيط: 9/ 857.

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (خلف).

النَّعِيمَ لَيْسَ خَلْفَهُمْ فَقَطْ بَلْ مُحِيطًا بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، أَوْثَرَ فِي هَذِهِ
الآيَةِ لَفْظُ التَّارِكِ دُونَ التَّخْلِيفِ.

وَيُضَافُ إِلَى مَا سَبَقَ أَنَّ تَخْلِيفَ الشَّيْءِ يُوحِي بِأَنَّ الشَّخْصَ تَرَكَهُ
خَلْفَهُ لِيَرِثَهُ مَنْ يُرِيدُهُمْ أَنْ يَرِثُوهُ؛ فَأَوْثَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لَفْظُ التَّارِكِ الَّذِي
يَكُونُ بِالْقَهْرِ وَالْإِضْطِرَارِ⁽¹⁾، وَأَوْثَرَ اللَّهُ تَعَالَى النِّعَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ قَالَ اللَّهُ
ﷻ: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾، وَهُمْ لَيْسُوا مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ فِي
شَيْءٍ مِنْ قَرَابَةٍ وَلَا دِينٍ وَلَا وِلَاءٍ، وَكَانُوا مُسْتَعْبِدِينَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَأَهْلَكَ
اللَّهُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، وَأَوْرَثَهُمْ مُلْكَهُمْ وَدِيَارَهُمْ⁽²⁾.

الْجَنَّاتُ وَالْحَدَائِقُ وَالْبُسَاتِينُ وَالْحَوَائِطُ:

الْفَرْقُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ أَنَّ الْجَنَّاتِ هِيَ الْحَدَائِقُ ذَاتُ الشَّجَرِ وَالنَّخِيلِ
وَالْعِنَبِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَسْتَرُ بِأَشْجَارِهَا وَوَرَقِهَا مَا تَحْتَهَا مِنْ
الْأَرْضِ لِكثَافَتِهَا؛ فَهِيَ مَأْخُذَةٌ مِنَ الْجَنِّ: وَهُوَ السَّتَرُ⁽³⁾.

أَمَّا الْحَدِيقَةُ فَهِيَ قِطْعَةُ الْأَرْضِ الْمُسْتَدِيرَةُ ذَاتُ النَّخْلِ وَالْمَاءِ
وَالْحَائِطِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ تَشْبِيهًا بِحَدِيقَةِ الْعَيْنِ فِي الْهَيْئَةِ وَجَمْعِهَا
الْمَاءِ⁽⁴⁾، وَكُلُّ بُسْتَانٍ كَانَ عَلَيْهِ حَائِطٌ فَهُوَ حَدِيقَةٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ
حَائِطٌ لَمْ يُقَلَّ لَهُ حَدِيقَةٌ⁽⁵⁾؛ فَإِنَّ جَذَرَ الْكَلِمَةِ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الشَّيْءُ
يَحِيطُ بِشَيْءٍ، يُقَالُ: حَدَقَ الْقَوْمُ بِالرَّجُلِ وَأَحَدَقُوا بِهِ⁽⁶⁾.

وَأَمَّا الْبُسْتَانُ فَهُوَ لَفْظٌ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ⁽⁷⁾، وَلَمْ يَرِدْ لَفْظُ الْبُسْتَانِ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ⁽⁸⁾، وَهُوَ مَعْرَبٌ (بُوسْتَان)؛ ف (بُ) بِمَعْنَى:

(1) الرَّاغِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (تَرَكَ).

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 276 / 4.

(3) ابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِمِيُّ، وَالرَّاغِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ، وَالزَّبِيدِيُّ، النَّجَاحُ: (جَنَنَ)، وَعَبْدُ
الْجَبَّارِ فَتْحِي زَيْدَانُ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص: 281، وَ282.

(4) الرَّاغِبُ، الْفَرْدَاتُ، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عَمْدَةُ الْحِفَافِ: (حَدَقَ).

(5) ابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ: (حَدَقَ).

(6) ابْنُ فَارِسٍ، الْقَائِمِيُّ: (حَدَقَ).

(7) ابْنُ قَتَيْبَةَ، أَدَبُ الْكَاتِبِ، ص: 501، وَالزَّبِيدِيُّ، النَّجَاحُ: (بُسْتَنَ).

(8) عَبْدُ الْجَبَّارِ فَتْحِي زَيْدَانُ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص: 281، وَ282.

فِي الْجَنَّاتِ
سَتَرٌ بِكثَافَةٍ
أَشْجَارُهَا،
وَلِحَدِيقَةٍ
حَائِطٌ، وَفِي
الْبُسْتَانِ أُحْدُ
رَائِحَةٌ

الرائحة، و(ستان) بالكسر: الجاذب⁽¹⁾، ومعناه بحسب الأصل: آخذُ الرائحة⁽²⁾؛ فيتبيّن من ذلك أنّ الحديقة سُمّيت بالبستان لأنها أرضُ جاذبةٌ رائحةَ الأشجار أو آخذتها.

المقام والمنزل والمستقر:

الفرق بين الثلاثة أنّ المقام مأخوذٌ من: قام يقوم؛ أي: انتصب⁽³⁾، والمعنى المحوري لجذر المقام: انتصابُ الشيء إلى أعلى ثابتاً؛ كقامة الإنسان⁽⁴⁾.

في المقام
انتصاباً، وفي
المنزل هبوطاً،
وفي المستقر ثبات

أمّا المنزل فجذره أصلٌ يدلُّ على هبوطٍ شيءٍ ووقوعه⁽⁵⁾، والنزولُ في الأصل: انحطاطٌ من علوّ⁽⁶⁾؛ يقال: نزلَ عن دابّته، ونزل في مكان كذا: حطَّ رَحْلَه فيه⁽⁷⁾، وأمّا المستقرُّ ففيه معنى الثبات⁽⁸⁾؛ يقال: قرَّ في مكانه يقرُّ قراراً، إذا ثبتَ ثبوتاً جامداً⁽⁹⁾.

(1) الزبيدي، التاج: (ستان).

(2) الزبيدي، التاج: (يست).

(3) الجوهرى، الصحاح، وابن فارس، اللقائيس: (قوم).

(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قوم).

(5) ابن فارس، اللقائيس: (نزل).

(6) الراغب، المفردات: (نزل).

(7) ابن فارس، اللقائيس، والراغب، المفردات: (نزل).

(8) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي

للمؤصل: (قر).

(9) الراغب، المفردات: (قر).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 54، 802 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-655-02-2

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُخْرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثية الآية 15.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،

الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"